ترامب.. البطل والمتهم

بهاء العوام
صحافي سوري

مفارقة مضحكة تعيشها الولايات المتحدة هذه الأيام في محاكمة الرئيس دونالد ترامب بتهمة استخدام سلطته لابتزاز رئيس أوكرانيا. بينما هو يستعد لإعلان أكبر عمليات ابتزاز بما يسميه "صفقة القرن" للسلام في الشرق الأوسط. يُحاكمُ ترامب اليوم لأنه حاول استغلال نفوذه في إضعاف منافسه الديمقراطي جو بايدن. بينما يعلم القاصي والداني أن خطة السلام التي أعدها للمنطقة تهدف، بالدرجة الأولى، إلى كسب أصوات اليهود الأميركيين في انتخابات الرئاسة المقبلة، وهي تقوم على كل استغلال ممكن لمنصبه من أجل إجبار الفلسطينيين على قبولها.

يقف ترامب اليوم مذنبا أمام مجلس الشيوخ لأنه ابتز رئيس أوكرانيا وخيّره بين وقف المساعدات لبلاده، وبين فتح تحقيق بأنشطة ابن بايدن هناك، فيقلل من فرص فوز الأب في الانتخابات الرئاسية المقبلة. ترامب نفسه وأمام ذات المجلس سيقف خلال أيام بطلا قوميا استخدم منصبه ليقدّم لإسرائيل سلاما لم تحلم به، مقابل أصوات يهود الولايات المتحدة في ذات الانتخابات. ومن أجل ذلك قلص ترامب إلى حدود ضيقة دعم بلاده لمنظمة أونروا للضغط على الفلسطينيين من أجل قبول هذا السلام. جرم واحد في الحالتين هو الابتزاز وهدف واحد في الحالتين هو كسب الانتخابات، ولكن ترامب خائن في الأولى وبطل في الثانية.

كسب ترامب أصوات الناخبين عبر ابتزاز الفلسطينيين هو حلال، ولكن عبر ابتزاز الأوكرانيين فهو خيانة كبرى وانتهاك للدستور وخطر على الأمن القومي. أن يضطهد شعبا بأكمله ويسلبه أرضه وحقوقه من أجل ولاية رئاسية ثانية في البيت الأبيض هو أمر مشروع ولا يمسّ يمينه الدستوري. أما أن يحاول التشويش على مرشح رئاسي بفتح تحقيق حول أنشطة ابنه الاقتصادية خارج البلاد، فهذا فعل يجرده من أخلاق الرئاسة في دولة "عظيمة" مثل الولايات المتحدة، ويعرض سمعة دبلوماسيتها للخطر كما يضع ديمقراطيتها الداخلية موضع تساؤل.

كسبُ ترامب أصوات الناخبين عبر ابتزاز الفلسطينيين حلال، ولكن عبر ابتزاز الأوكرانيين هو خيانة كبرى وانتهاك للدستور وخطر على الأمن القومي

لا يمكن أن تجد محددا أكثر وضوحا من الابتزاز في السياسة الخارجية الأميركية. وعندما يتعلق الأمر بالانتخابات الرئاسية يصبح الأمر أكثر فجاجة وقبحا. فكيف أن ارتبط بالانتخابات ومصلحة عليا لإسرائيل مثلما تحمل "صفقة القرن" الترامبية. لم يخشَ ترامب لومة لائم عندما اعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ولا حين اعترف بالجولان السوري جزءا منها، وكذلك عندما شرعن المستوطنات، وأبدى موافقة ضمنية على ضم الأغوار. كل ذلك تمهيدا للحظة تاريخية يقف فيها ليقول للعالم، تعيش دولة إسرائيل والموت لحلم الدولة الفلسطينية المنتظرة.

ترامب يمارس العلنية في ابتزاز جميع دول العالم دون استثناء، منذ اللحظة الأولى التي قدم بها إلى البيت الأبيض. ما كان يمارسه أسلافه في السر أخرجه هو إلى العلن. والمفاجأة أن شعبيته في الداخل تزداد كلما جاهر بابتزازه. وكأن لسان حال الأميركيين يقول: هكذا يجب أن يكون زعيم الدولة الأقوى عالميا في اقتصادها وجيشها. يجب أن يخشاها الجميع وأن يدفع لها الجميع، وأن يرضخ لها الجميع. وفي استدعاء الأرقام للتدليل على القبول الشعبي لترامب، فإن نصف الأميركيين يرفضون محاكمته، وثلثي الجمهوريين مازالوا يؤيدونه رغم كل شيء.

السر الذي يعرفه الجميع ولكنهم لا يفضلون الحديث عنه، هو أن ترامب ماض بقوة إلى الولاية الرئاسية الثانية. ترغب جميع دول العالم، ما عدا إسرائيل وبضعة دول، أن يقع حدث جلل في الداخل الأميركي ليمنع هذا السيناريو. ولكن السؤال، هل يتخلى أي ساكن للبيت الأبيض عن سياسة الابتزاز التي توارثها أسلافه، خاصة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وتحول الولايات المتحدة إلى قطب العالم الوحيد، من حيث القوتين العسكرية والاقتصادية.

ربما تفيد بضع خطوات إلى الوراء في التاريخ الأميركي لتلمّس المحددات الأخلاقية للسياسة الخارجية في المنطقة. هل قدم بيل كلينتون للرئيس الراحل ياسر عرفات في كامب ديفيد خطة سلام عادلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟ صحيح أنها كانت أفضل مما يحمله ترامب في جعبته ولكنها لم تكن منصفة. ماذا عن جورج دبليو بوش الذي غزى العراق وخلف فيه خرابا لا يزال يتراكم حتى اليوم؟ لنسأل عن باراك أوباما الذي نال جائزة نوبل للسلام عام 2009، هل كان أفضل من أسلافه وهو من باع سوريا والعراق ولبنان واليمن لإيران مقابل إبرام اتفاق نووي معها؟

بعد هؤلاء الثلاثة جاء ترامب ليفعل خلال ولايته الرئاسية الأولى، ما تردد أسلافه في فعله، أو خشوا فعله خارج الأروقة المظلمة. كان ترامب الأكثر وضوحا بينهم مع الشعب الأميركي، ونفذ وعوده الانتخابية الواحد تلو الآخر. لا يهم إن كان الملايين حول العالم قد تضرروا بسبب سياساته الداخلية والخارجية. المهم أن مؤشرات الاقتصاد التي تفاخر بها في مؤتمر دافوس مؤخرا، تؤكد أن فجاجة دبلوماسيته وعنجهيته وابتزازه للعالم، قد جلبت خلال ثلاث سنوات فقط الملايين من الوظائف للأميركيين والمليارات من الدولارات لخزينة الولايات المتحدة.

اليوم يقف الرئيس الجمهوري أمام محاكمة صورية في مجلس الشيوخ الذي يسيطر عليه الجمهوريون. ومن ثم سيواجه محاكمة أخطر تتمثل في الانتخابات الرئاسية مطلع نوفمبر المقبل. البقاء في البيت الأبيض لأربع سنوات أخرى هو ما تتوقعه له استطلاعات الرأي. وسواء كذبت هذه التوقعات أم صدقت، لن يشعر ترامب بالندم على ما فعله وأضر به الفلسطينيين والعرب. سيبقى أفضل صديق لإسرائيل في تاريخ الولايات المتحدة كما وصفه رئيس وزرائها بنيامين نتنياهو. ومن يخلف ترامب في البيت الأبيض سيحاول نيل ذات الشرف وذات البطولة.

قطر وخلايا الشر لضرب مناعة الجسد العربي

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

طوى من كانوا متفائلين بنهاية عزلة قطر في محيطها الخليجي والعربي صفحات كتاب الأحلام في طبعته للعام 2019، فكل المعطيات تؤكد أن نظام الدوحة مستمر في ميولاته التي تدفع به إلى المزيد من الانعزال، وما قيل سابقا عن إمكانية تحقيق انفراجة في علاقاته مع المملكة العربية السعودية انتهى إلى الفشل الذريع، إن لم يكن إلى وضع أسوأ.

أثبتت أحداث الأشهر الماضية إصرار النظام القطري على تطوير علاقاته مع إيران، بما يشكّل خطرا إضافيا على الأمن القومي العربي، الأمر لا يتعلّق فقط بما تأكد من علم الدوحة باعتداءات الحرس الثوري الإيراني على حاملات النفط قبالة ساحل الفجيرة الإماراتي، وعلى منشآت أرامكو شرق المملكة السعودية، بل بالتنسيق مع طهران في التخطيط لقمع الحراك الشعبي ضد أصابع أخطبوط الملالي في الدول العربية وخاصة العراق ولبنان، وفي تحويل جماعة الإخوان إلى أداة لخدمة ميليشيات الحوثي في اليمن، وفي التآمر على ثورة السودان التي أطاحت بحكم عمر حسن البشير، وفي محاولة محاصرة كل تحرّكات السعودية خاصة في منطقة القرن الأفريقي.

كما بات واضحا ما تقوم به قطر لتمويل مخططات تركيا في ليبيا من نقل للمرتزقة من الشمال السوري وتهريب للأسلحة نحو طرابلس ومصراتة لدعم ميليشيات فائز السراج، ومن الاستمرار في اعتماد دبلوماسية الصفقات لشراء المواقف الدولية، وتجييش المنظمات التي يقال إنها حقوقية وأبواق الإعلام لتنظيم الحملات الدعائية ضد المملكة والإمارات، والاستمرار في تخصيص موازنات وآليات للتحريض على مصر الدولة والقيادة والجيش والشرطة والقضاء، انطلاقا من وهم الاعتقاد بإمكانية بعث ما يسميه جلاوزتها بالموجة الثانية للربيع العربي.

كلما حاول نظام الدوحة التراجع خطوة إلى الوراء في طريق المؤامرات، وكلما بدأ يبحث لنفسه عن منفذ للخروج من النفق، تتدافع إليه القوى المستفيدة من عزلته لتقنعه بأن أهدافه التآمرية اقتربت من التحقق، فيعود إلى ممارساته. هناك جماعات الإسلام السياسي التي فقدت بوصلتها ما عدا الاتجاه نحو خزانة المال القطري، وهناك مراكز البحوث التي تضع على ذمته استنتاجات حسب المصالح الآنية، ومراكز الضغط الدعائي التي تحوّلت إلى قوة داخل مؤسسة الحكم، وهناك مستشارون من طيف عقائدي واحد أغلبهم من النازحين عن أوطانهم إلى وطن الغاز المسيّل، يرون أن مصالحهم مرتبطة باستمرار عزلة النظام.

منذ أيام أعلنت قطر عن تعديلات في بعض أحكام قانون العقوبات الصادر في 2004، تنص على الحبس مدة لا تتجاوز 5 سنوات وغرامة لا تزيد عن 100 ألف ريال قطري، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من تناول بإحدى الطرق العلانية من الداخل أو الخارج الشأن العام للدولة، أو أذاع أو نشر أو أعاد نشر أخبار أو بيانات أو إشاعات كاذبة أو مغرضة أو دعاية مثيرة.

هذه التعديلات هدفها قمع أي معارض أو منتقد للنظام القطري الذي يدفع بالمقابل الملايين من الدولارات لتمويل منصات الدعاية بهدف نشر الأخبار الزائفة والإساءات المتعمدة ضد رموز الدول الأخرى، وللتحريض على الفتن وقلب الحقائق والدعوة إلى التباغض والكراهية، والمساس من سيادة الدول ووحدة المجتمعات وأمن واستقرار الشعوب، ولدعم التطرف والإرهاب وفتاوى التكفير.

ربما يقول النظام القطري إنه يحصّن نفسه ويحمي كيانه الذي يعلم الجميع أنه غير مهدد أصلا، لكنه بالمقابل يتعمّد التدخل في شؤون غيره مستعملا في مؤامراته الإعلام والسلاح والمال والأبواق والأجهزة والمراكز المتخصصة واللعب على أوتار التباينات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية والقبلية والجهوية والحزبية العقائدية في الدول الأخرى.

مشكلة قطر أنها تحوّلت إلى مرض يتغذّى على خلايا الشر في المنطقة والعالم، ويستهدف الخلايا السليمة القادرة على توفير المناعة للجسد العربي الذي سيكون عليه أن يتخذ كل أشكال التحصين الذاتي للدفاع عن نفسه، خصوصا بعد أن تحوّل نظام الدوحة إلى عدوّ معلن يتخذ من المتآمرين المحليين والأعداء الإقليميين والمتحاملين الدوليين أقنعة يختفي وراءها، ليمارس عدوانيته التي يبدو أنها باتت نزعة متأصّلة في تكوينه السياسي والثقافي والعقائدي.

25 يناير 2020.. إهدار رأسمال الثورة باختلاق عدوّ

سعد القرش
روائي مصري

تسع سنوات على ثورة 25 يناير 2011 تؤكد استمرار العناد. المؤمنون بها يراهنون على الأمل في إنجاز وعدها الإنساني وعنوانه الحرية، والسلطة لا تيأس من قتْل فكرة الثورة، وتواصل تجريم وقائعها، وتفرّط في كل فرصة تتاح لاستيعاب رأسمالها الرمزي، وتختلق عدوًا وهميا لتسويغ حالة بائسة من الاستنفار توحي لضيوف معرض القاهرة الدولي للكتاب (22 يناير ـ 4 فبراير 2020) بأن حربا توشك أن تشتعل، بعد أسبوع من تحميل ضيوف ملتقى القاهرة الخمسة للشعر العربي رسالة بأن مصر غير آمنة لا تحتمل فتح مقاه وسط القاهرة.

اختلاق العدوّ سلوك بائس لا يقنع أحدا، ويثير السخرية من جنود وضباط مساكين، مغلوبين على أمرهم في برد يناير، إذ يصطفّون أمام سيارات وآليات مصفحة يزيد عددها على أعداد مشاة تجنبوا النزول في ذكرى ثورة 25 يناير 2011؛ لتفادي مصادرة حياتهم وحرياتهم وتفتيش هواتفهم، بحثا عن عدوّ إلكتروني هارب من الإسفلت.

تسع سنوات لا تعلّم السلطة استحالة نزع فكرة الثورة، ولو بالحنين والرجاء. بعد خلع حسني مبارك في 11 فبراير 2011 وتولي المجلس الأعلى للقوات المسلحة حكم البلاد عمّمت صورة فوتوغرافية رمزية، على حافلات النقل العام، لجندي خلال الثورة يحمل طفلا. ولم يكن أقدم شعب متجانس في التاريخ قاصرا لكي يحتاج إلى وصيّ يتعهده بالرعاية. وبعد 3 يوليو 2013 اختفت تلك الصورة، اعتمد خطاب يستحضر الخطر اليميني الحقيقي، وما تلاه من أعداء وهميين آخرهم المقاول محمد علي، وهو حليف وشريك سابق فرضوا فيلمه "البرّ التاني" على مهرجان القاهرة السينمائي عام 2016. ورغم فشله في التمثيل فقد أتيح له أن يقوم ببطولة أطول فيلم في التاريخ على مدى خمسة أشهر، وانتهى بإعلانه اعتزال السياسة والتفرغ للبزنس. أسدل محمد علي الستار على المشهد الأخير في ذكرى اندلاع الثورة، السبت 25 يناير 2020.

في السنوات القليلة السابقة على عاصفة يناير 2011 اختلقت عدة أخطار، لإثارة القلق الشعبي، وتنبيهه إلى جريمة توريث الحكم لجمال مبارك. وفي كتاب "خبرني العندليب" لعمر قناوي تفاصيل عن تلك التدابير. وبعد نجاح ثورة 25 يناير 2011 في نزع القداسة عن أي شخص أو مؤسسة، دينية كانت أم قضائية أم عسكرية، لم يعد بوسع أي رجل دين الادعاء بأنه يمثل الدين، ولا يستطيع أي رئيس أن يلخّص الوطن في شخصه. وفي 30 يونيو 2013 انتهى الخطر الإخواني، وقام الشعب بحماية الجيش من الانتقام الأعمى. تلك هي الحقيقة، ففي المواجهات داخل المدن لا تنجح الجيوش غير المؤهلة لأعمال الشرطة في التصدي للعدوان لأنها آلات قتل وتدمير في مواجهات ساحاتها الصحارى لا الميادين والشوارع.

ويستطيع غاضب مدرّب على أعمال العصابات تفجير سيارة، أو إعطاب دبابة سيعجز طاقمها عن تعقبه بمدفع لم يصمم لاصطياد شخص. بهذا المنطق يكون الجيش مدينا للشعب بحمايته من كارهي البشر، وإن لم يُحظَ الشعب بصورة فوتوغرافية لهذا الجميل. لا ينسى المشاركون في ثورة 25 يناير أن مطار القاهرة، قبل صعود قوى الثورة المضادة، ظل يتزين بجداريات توثق مأثورات تغنى فيها زعماء العالم بالثورة السلمية. ولم يكن الرئيس الأميركي باراك أوباما ورئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون ورئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو برلسكوني، وقتها، مضطرين لنفاق شعب فاز بالحرية، وجعل رئيس النمسا هاينز فيشر يدعو إلى منح المصريين جائزة نوبل للسلام لأنهم "أعظم شعوب الأرض".

سلطة ما بعد 3 يوليو 2013 تهدر رأسمال رمزيا، وبدلا من أن يصير ميدان التحرير مزارا عالميا، يُنظم مزاد إعلامي لشيطنته وعلى الأرض يجري تطويقه

ولكن سلطة ما بعد 3 يوليو 2013 تهدر رأسمال رمزيا، وبدلا من أن يصير ميدان التحرير مزارا سياحيا عالميا، تحاكى فيه سنويا مشاهد لأهم 18 يوما في تاريخه، يُنظم مزاد إعلامي لشيطنته، وعلى الأرض يجري تطويقه، فتصبح الذكرى مقبضة. وفي هذا السياق يكون من العبث أن يثير مخلوق قضية القصاص لشهداء الثورة من الشباب الأعزل. ولا يستطيع أحد محو الاعتراف العسكري الرسمي، المسجل صوتا وصورة بعد خلع مبارك، على لسان اللواء محسن الفنجري عضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة "إن المجلس الأعلى للقوات المسلحة يتوجه بكل التحية والإعزاز لأرواح الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فداء لحرية وأمن بلدهم ولكل أفراد شعبنا العظيم".

ربما يرجع العداء الرسمي لثورة 25 يناير إلى إصرار المؤمنين بها على تجاوز دور محدود رسم لهم، وإيمانهم بضرورة التصرف الناضج بعيدا عن ولاية جسّدتها صورة الطفل في رعاية الجندي. لعلي أجد تفسيرا لهذا العداء في ضوء مفهوم "الاستدعاء"، وهو مصطلح عسكري يعني اللجوء إلى تجنيد قوات احتياطية في أوقات الطوارئ. ربما رأوا أن يخططوا لاستدعاء الشعب لوقف عملية التوريث، ثم فوجئوا بالجماهير في مثل هذا اليوم، 28 يناير 2011، تحوّل الخطوة التكتيكية إلى إستراتيجية بلا ضفاف، وتطلب فردوس الحرية الأعلى. ولم يكن مسموحا بهذا الحلم. وربما خططوا للخطوة التالية، 30 يونيو 2013، لتكون عملية محدودة تنهي حكم اليمين الديني ولا تطمح إلى تأسيس دولة القانون.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk